

285212 - عنده تساؤل حول حركة الأرض ودورانها .

السؤال

ينص القرآن على أن الأرض لا تتحرك ، وأن الشمس والقمر يدوران حولها ، وهو الرأي الذي يقول به الشيخ ابن عثيمين ، وابن باز ، والفوزان ، ولكن هذا القول مخالف لما تعلمناه في المدرسة في بريطانيا ، وأن هذه من الحقائق العلمية ، ولكنني أتبع القرآن والسنة ، ولذلك أتجاهل هذه النظريات العلمية متى ما تعارضت مع الإسلام ، ولكن تأثيري خواطر سينة ، ومتى ما حصل ذلك أتجهم ، وأشعر بالغثيان بسبب هذه الأفكار ، فأنا دائمًا أقول : إنني أؤمن بما في القرآن والسنة ، وفي بعض الأحيان أقول لنفسي : تجاهل هذه الوساوس ، ولكن هذه الوساوس لا تغادرني ، لذا أبحث عن الأجوبة على الانترنت ، وهذا جعلني أفكر أن سبب بحثي عن الجواب هو لإنني شككت في البداية في صحة ما جاء به القرآن وعليه فقد كفرت ، مع العلم أنني قرأت في الماضي بعض المواد المعادية للإسلام مما جعلني في ضيق ، فبحثت عن الأجوبة عن طريق الانترنت ، فهل هذا الشك الذي يساوروني مخرج من الملة ؟ مع العلم لو شك أحدهم بالقرآن أو النبي صلى الله عليه وسلم أما مامي أشعر بالضيق مباشرة ، وأرفض ما يقال أما مامي .

الإجابة المفصلة

أولاً:

لا بد أن تعرف أولاً : أن ما نص عليه الكتاب والسنة الصحيحة نصاً لا يحتمل إلا معنى واحداً ، فإن منكره كافر لا محالة .
فمن ذلك : أن الله خالق كل شيء ، الكون بما فيه ، ومن فيه ؛ فمن زعم أن شيئاً في الكون ، لم يخلقه الله : فهو كافر كفراً أكبر ، خارج من ملة الإسلام .

وأما ما لم يذكره الكتاب والسنة الصحيحة بخصوصه ، أو لم ينص عليه ، فهو دون الأول .

ويخبو وهج الإنكار على المختلفين فيه ووصمهم بالبدعة أو الكفر ، كلما تضاءلت درجة دلالة النصوص على المسألة ، وظهورها فيما هو محل الإشكال ؛ حسبما هو مقرر في علم أصول الفقه .

ثانياً :

ومن الأمور التي لم ينص عليها صراحة ، بخصوصها : حركة الأرض ؛ فإن الكتاب والسنة الصحيحة ، لم يعمدا إلى بيان حال ذلك ؛ إثباتاً أو نفياً .

نعم توجد بعض النصوص التي تشير إليها ، كعادة القرآن والسنة في الإشارة إلى بعض الظواهر العلمية التي لم يتوصل إليها أهل ذلك العصر ، فيشير إليها القرآن بإشارة تنبتها ، ولكن دون صراحة تُنَفَّرُ الناس حينها وتشككهم في القرآن لقصور معارفهم العلمية الطبيعية .

وتكون هذه الإشارة دليلاً لأهل العصور التالية ، حين يتقدم العلم وينكشف المزيد من الحقائق ، فيتطابق حينها العلم مع إشارات القرآن
(سُرِّيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوْلَمْ يَكُفِّرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) سورة فصلت/ 53 .

قال الظاهري في "التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج" (16/25) "أي سنظهر لهم دلالات صدق القرآن، وعلامات كونه من عند الله ، في أقطار السموات والأرض، المشتملة على خلق الشمس والقمر والنجوم، وتعاقب الليل والنهار، وأحداث الكون الرهيبة من الأعاصير والبراكين والصواعق، وعظامه الجبال والبحار، وإبداع صنع النيات والأشجار، وما يحدث في الأرض من فتوحات كبرى على أيدي المسلمين في أرجاء الأرض المحيطة بمكة والجزيرة العربية. وهذا الإخبار عن الغيب معجزة .

وسنظهر صدق القرآن وأنه منزل من عند الله أيضاً في خلق أنفس البشر، وما فيها من إبداع الصنعة، وعظمة التركيب : (وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفْلَاثٌ بِصَرُونَ) ، وفي مصائر الناس وتبدل أحوال أهل مكة العتاة من سادة متكبرين إلى أدلة صاغرين .

كل ذلك ليعرفوا من هذه الواقع والأحداث والخلائق ، ويتبيّنوا بخلاف : أن القرآن ، وَمُنْزَلُهُ ، وَمَنْ أَنْزَلَ عَلَيْهِ : حق وصدق لا شك فيه .

وإذا لم ينظروا ويتأملوا ، فتكفي شهادة الله بأن القرآن حق، فقال تعالى : (أَوْلَمْ يَكُفِّرْ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) ؟ أي كفى بالله شاهداً على أفعال عباده وأقوالهم ، من الكفار وغيرهم ، وكفى به شاهداً على أن القرآن منزل من عنده " انتهى .

وقد سئل الشيخ الألباني رحمه الله: في هذا المعنى " س - ماذا تقولون في دوران الأرض؟

الشيخ: نحن الحقيقة لا نشك في أن قضية دوران الأرض حقيقة علمية لا تقبل جدلاً .

في الوقت الذي نعتقد أن ليس من وظيفة الشرع عموماً، والقرآن خصوصاً: أن يتحدث عن علم الفلك.

ودقائق علم الفلك وإنما هذه تدخل في عموم قوله عليه الصلاة والسلام الذي أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة تأثير النخل حينما قال لهم (إنما هو ظن ظننته فإذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فأتوا منه ما استطعتم وما أمرتكم من شيء من أمور دنياكم فأنتم أعلم بأمور دنياكم).

فهذه قضايا ليس من المفروض أن يتحدث عنها الرسول عليه السلام، وإن تحدث هو في حديثه، أو ربنا عز وجل في كتابه؛ فإنما لبالغة أو لآية أو معجزة، أو نحو ذلك.

ولذلك فنستطيع أن نقول: إنه لا يوجد في الكتاب ولا في السنة ما ينافي هذه الحقيقة العلمية المعروفة اليوم، أو التي تقول بأن الأرض كروية، وأنها تدور بقدرة الله عز وجل في هذا الفضاء الواسع.

بل يمكن للمسلم أن يجد ما يشعر، إن لم نقل ما ينص على أن الأرض، كالشمس وكالقمر ، من حيث إنها كلها في هذا الفراغ، كما قال عز وجل (وَكُلُّ فِلَكٍ يَسْبُحُونَ).

لا سيما إذا استحضرنا أن قبل هذا التعميم الإلهي بلفظة (وكل)؛ هي تعني الكواكب الثلاثة، حيث ابتدأ بالأرض فقال (وآية لهم الأرض الميّتة أحببناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون)، ثم قال (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقْرٍ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ * وَالقَمَرُ قَدْرَتَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعَرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا السَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُذْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلُّ فِي فَلَكِ يَسْبِحُونَ) سورة يس / 33-40.

لفظة (كل) تشمل الآية الأولى؛ الأرض، ثم الشمس، ثم القمر، ثم قال تعالى: (وكل في فلك يسبحون) هذا ظاهر من سياق الآيات هذه

.....

هذا أقوله؛ فإن صحيحة فيها ونعمت.

وإن لم يصح، فأقول ما يقال: إنه لا يوجد في القرآن، كما قلت آنفاً، ولا في السنة، ما ينفي هذه الحقيقة العلمية" انتهى من "سلسلة الهدى والنور" للشيخ الألباني - الإصدار 4 (497/10).

وعلى كلٍّ، فمنكر حركة الأرض لا تثريب عليه شرعاً إذا لم تتضح له الإشارة القرآنية السابقة.

ومثبتة الحركة لا تثريب عليه كذلك شرعاً، إذا فهمها من القرآن، أو علمها من العلوم الطبيعية.

وذلك لأن حركة الأرض لا تُعد من العقائد الدينية التي يجب إثباتها، أو نفيها.

وإنما هي - أصلة - مسألة من مسائل العلوم الطبيعية والتجريبية، تبحث في علمها وفي بابها، بحسب الأدوات الموصولة إلى اليقين، أو الظن فيها. وقد جعل الله لكل شيء قدرًا.

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

"وفي قوله تعالى: (إِذَا طَلَعَتْ تَرَأَوْرُ) (وَإِذَا غَرَبَتْ تَفَرَّضُهُمْ) دليل على أن الشمس هي التي تتحرك، وهي التي بتحركها يكون الطلع والغروب.

خلافاً لما يقوله الناس اليوم، من أن الذي يدور هو الأرض، وأما الشمس فهي ثابتة.

فنحن لدينا شيء من كلام الله، الواجب علينا أن نجريه على ظاهره، وألا ننزعزح عن هذا الظاهر إلا بدليل بين.

فإذا ثبت لدينا بالدليل القاطع: أن اختلاف الليل والنهار بسبب دوران الأرض، فحينئذ يجب أن نؤول الآيات، إلى المعنى المطابق للواقع. فنقول: إذا طلعت في رأي العين وإذا غربت في رأي العين، تذاور في رأي العين، تفرض في رأي العين.

أما قبل أن يتبيّن لنا بالدليل القاطع، أن الشمس ثابتة، والأرض هي التي تدور، وبدورانها يختلف الليل والنهار؛ فإننا لا نقبل هذا أبداً، علينا أن نقول: إن الشمس هي التي بدورانها يكون الليل والنهار، لأن الله أضاف الأفعال إليها، والنبي صلى الله عليه وسلم حينما غربت الشمس قال لأبي ذر: "أندرني أين تذهب؟"؛ فأسند الذهاب إليها.

ونحن نعلم علم اليقين أن الله تعالى أعلم بخلقه، ولا نقبل حذساً ولا ظناً، ولكن لو تيقنا يقيناً أن الشمس ثابتة في مكانها، وأن الأرض تدور حولها، ويكون الليل والنهار، فحينئذ تأويل الآيات واجب، حتى لا يخالف القرآن الشيء المقطوع به" انتهى من "تفسير سورة الكهف" (33-32).

والحاصل:

أن مسألة دوران الأرض من عدمها: لا مدخل لها في زعزعة إيمانك، أو تثبيته؛ فاحذر من همزات الشيطان، ووساوشه، وتلبيسه. وإنما الواجب أن تقدر المسألة بقدرها؛ فمتكى ثبت دوران الأرض ، أمكن تأويل ظواهر النصوص؛ فإن الشرع لم يعمد إلى بيان ذلك صريحاً، ولا هو مما نزل القرآن لأجله.

ينظر جواب السؤال رقم: (138144)، و (162219).

وللأهمية ينظر جواب السؤال رقم: (224718)، و (12315)، و (225906).

والله أعلم .